ره آثامه
الكتاله

رسالة في القضاء والقدر للسيد شريف ولجناب الشيخ اعلى الله مقامه مع ... في الحلل اعلا الله

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الهادين الى نهج اليقين بواضح التبيين وعلى
التابعين المقتدين بهداهم في الدين وبعد فيقول العبد المسكين احمد بن زين
الدين هذه كلمات ذات تبيين وسداد في بيان القدر في افعال العباد وصفتها على
تقرير السيد شريف وفيها الكلام توفيق متمم للاقوال من الثلاثة ما نقص من احتجاج
غير مبين لاستقامته واعوجاجه ثم ارفع للحق اعلام منهاجه وارد على مذهب من خا
لف الحق بعض النقض لانه لنصرة الحق على فرض كنت بها اذ امرني بذلك شيخي الحليم الاواه
حسن السمت والهدي الشيخ عبد الله بن دندن انار الله ايامنا ببقائه وجعل همه
في الاستعداد للقائه انه على كل شيء قدير قال السيد شريف اعلم ان مسئلة القدر في الا
فعال الاختيارية للعباد من الغوامض التي تحيرت فيها الاوهام واضطربت فيها اراء الا
نام اقول اعلم ان الله سبحانه لم يظهر شيئا مما في خزائنه الا مبينا مشروحا على الكمال
املاء يحتمل العبارة واجمل ايماء يحتمل الاشارة ويكون مشروحا بيانه في كل بحسبه ما
ظهر ظهر بيانه وما بطن خفي برهانه وذلك بحسب احتمال الاشياء عنه سبحانه واليه الا
شارة بقوله تعالى فسالت اودية بقدرها وتبيينه سبحانه لذلك في القرآن وفي العالم
وفي انفس الخلق وهو معنى اسرار الله في خلقه ثم لما كان المخاطب والمكلف والمعروف
انما هو الانسان لانه اكمل اصناف الخلق لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم فيلزم
كماله ان يكون جامعا وان يكون مملكا قال تعالى خلق لكم ما في الارض جميعا فيكون مختارا
والا لم يكن جامعا مملكا ولكن على وجه نبينه انشاء الله تعالى وكونه مختارا لانه صنع
المختار قال الله تعالى فجعلناه سميعا بصيرا فوجب لكونه مملكا ان يكون له من
نفسه داعيان متضادان وهما العقل والنفس فالعقل عن يمينه يدعوه الى الله
ابدا ويدعوه الله منه قال تعالى وناديناه من جانب الطور الايمن والنفس عن
شماله تدعوه الى خلاف العقل بما يقتضيه طبعها ان النفس لامارة بالسوء ومعناهما
ان المخلوق له اعتباران اعتبار من ربه وهو العقل واعتبار من نفسه وهو
النفس وكل منهما يصلح ان يسكنه الانسان وهما جناحان فقد ينظر الانسان في
اية من ايات الله افاقي الكتاب التكويني وهو العالم او التدويني وهو القرآن او في عالم

الصغير الذي هو أنموذج منهما والمثال لهما وهو الانسان نفسه فيشتبه عليه الداعيان لشدة تشابه كل منهما بالاخر والتشابه بمقتضى كل منهما بالاخر وبيان هذا الالتباس كثير في القرآن كقوله تعالى فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما توقدون عليه في النار ابتغاء حلية او متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فجعل زبدا رابيا والباطل زبدا مجتثا وكذا قوله تعالى كشجرة خبيثة فاذا نظر في اية من احدى الكتب الثلاثة قد يلتبس عليه الداعيان الباديان منه داعي العقل وداعي النفس فلا يهتدي الى الحق فاكمل الله عليه الحجة بالانبياء والحفظة الذين لا يلتبس عليهم الداعيان لما اتاهم من مدده بحسب استعدادهم وتأهلهم بذلك قال الله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالته فمن حصل له اللبس ويعمل بما امر الله به من الرد الى الله والى الرسول والى اولي الامر منهم لان قولهم محفوظ عن الباطل لا يأتيه من بين يديه ولا من خلفه ولا من باطنه ولا من ظاهره لانه من عرف باطنه عرف ظاهره وفاز من الحظ الاوفر والنصيب بالمعلى والرقيب ومن لم يعرف باطنه وسلم لظاهره نجا لموافقته للبدنية والفطرة والعقل الطبيعي الاولي الذي لا يخلو منه مكلف وكان من قولهم ع في هذا الشأن لا جبر ولا تفويض ولكن امر بين امرين وباقي الكلام في هذا المقام انشاء الله تعالى ومن لم يسلك هذا الطريق المظلم بمصباح يهتدي به سلك البتر وهلك فيه وصدق الشريف في قوله تحير فيها الاوهام واضطربت فيها الانام وان كان من اولئك المضطربين وبان بيان اضطرابه والسبب الاضطراب في التشائيني ما ذكرناه مرتين ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور قال فذهب جماعة يريد بهم المعتزلة اصحاب واصل بن عطاء وهو اول من بالمنزلة بين المنزلتين وكان من اكابر تلامذة ابي الحسين البصري فلما احدث واصل بفرق المنزلة بين المنزلتين واعتزل بالحسين البصري واصحابه قال ابو الحسين اعتزل واصل فسموا بالمعتزلة هو واصحابه الى ان الله اوجد العباد واقدرهم على تلك الافعال بان خلق لهم الالة والقدرة وهي القوة التي يكون العبد بها متمكنا مستطيعا للفعل وتهيئة الاسباب التامة وهذا مذهب اهل العدل الامامية والمعتزلة الى هذا الحرف وفوض اليهم الاختيار فيهم مستقلون بايجادها على وفق مشيئتهم وطبق قدرتهم وهذا الحق بالمعتزلة وقوله فهم مستقلون تفريع على قولهم وفوض اليهم الاختيار يعني ان الله سبحانه بعد خلق الالة والقدرة وتهيئة الاسباب ليس لهم له في افعالهم الامر ونهيه

القول بان الله انه لا مدخل لهما في الفعل والترك بوجه وما سبق من الالة والصحة هو معنى
اقداره اياهم على الفعل وفعلهم الطاعة والمعصية بمشيتهم ومن عموا ان الله تعالى اراد منهم الا
يمان والطاعة ارادة محبة قولي فحسب وكره الكفر والمعصية كراهة ضد المحبة بنهي قوله
قالوا وعلى هذا يظهر امور اي فوائد امور يصح بها الاعتقاد الاول فائدة التكليف
بالاوامر والنواهي وفائدة الوعد والوعيد يعني ان العبد اذا لم يستقل بالفعل
لم يصح امره ولا نهيه لانه اما ان يستقل بفعله او يستقل به غيره او يشاركه فيه
والاخيران باطلان ضرورة ان المستقل بالفعل هو المامور به والمنهي عنه فاذا كان
غير الانسان توجه الامر اليه فيرتفع التكليف عن العبد ويقع التكليف في الامر للامر
وعلى التشريك يكون الامر والنهي كذلك والواقع خلافهما فثبت الاستقلال بالفعل
في الامر والنهي وفائدة الوعد بالثواب لا يكون لعبد على فعل غيره ولا يستقل بالثواب
مع التشريك في موجبه والوعيد بالعقاب لا يكون على عبد بدون تعديه وكذا في التشر
يك ولا تزر وازرة وزر اخرى هذا في دار التكليف الثاني استحقاق الثواب
والعقاب في دار الجزاء اذ لا يستحق ثواب ما لا يعمله ولا عقاب ما لا يفعله لقوله
تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ونحو ذلك
من الايات والعقل شاهد بحسن هذا وقبح ما سواه الثالث تنزيه الله تعالى عن ايجا
د القبائح التي هي انواع الكفر والمعاصي وعن ارادته تعالى يعني انا لو قلنا كما نقول الاشاعرة
انه لا مؤثر في الوجود الا الله لزمنا ان نقول انه اوجد الكفر في الكافر وجميع ما نهى
عنه فلو كان كذلك لكان يقبح منه ان يعذب الكافر على ما لم يكن منه وهذا عند كل عاقل
قبيح ان يامر السيد عبده بالمضي او يلقيه من سطح ثم يعاقبه لم مضيت ولم وقعت
ويعاقبه على ذلك وهذا قبيح لا يجوز من الغني المطلق العالم بقبح القبيح وحسن
الحسن ومثل الفعل ارادة ترك القبح والحسن وعلى اصلنا من ان العبد فاعل الحسنة
والسيئة باختياره مستقل بالفعل والاكتساب صح الامر والنهي والمدح والذم
والثواب والعقاب ويكون سبحانه منزها عن ايجاد القبائح وعن ارادته تعالى ولهم
شواهد من ظاهر الكتاب والسنة كثيرة جدا لا يحتاج الى ايراده لكنهم غفلوا
عما يلزمهم فيما ذهبوا اليه وهو اثبات الشركاء لله في الايجاد حقيقة حيث
لا مؤثر في الوجود عند الاشعري الا الله فاذا ثبت ان العبد فاعل كان شريكا
لا لان الفعل تاثير يكون منه تاثر المفعول به والتاثير وجود ولا يفيض الوجود
الا من الحق سبحانه قال المعتزلة لا يثبت موجودا الا ما اثبته الله العالم

بما خلق حيث ويخلقون افكا وهو صفة الى آية قبل واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت
عليه الآن اغناهم الله من فضله واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني وغير ذلك
قال الامشرف اسناد الفعل الى الفاعل مجاز وهذه الآيات من المتشابه وترد الى المحكم وهو
قوله تعالى والله خلقكم وما تعملون والموصول حرفي اذ الاصل عدم تقدير الضمير والا
شاهد بخلق الاعمال قال المحقق لي ما تقولون لو قلنا تقول في اذ كنتم والموصول
اسمي وحذف عائده قياسي وبالجملة بهذه المناقشة التي لا تنكر طائل فيها استردوا
الله فاتق ما تنفذ والمحاربو لوى ذوه الى اهلهم لكفاهم من العقل القليل ولا اشبهه
في انه اي اثبات الشركاء في الايجاد حقيقة اشنع من جعل الاصنام شفعاء عند
الله حيث انه سبحانه توعد من قال بذلك ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى
ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار فحكم
عليه بالكذب والكفر ولم يجعلوهم اربابا على الحقيقة بل جعلوهم غير مستقلين في
الفعل وانما هم شفعاء فما ظنك بمن جعل العبد فاعلا مستقلا فانها مقالة
اشنع من تلك وايضا يلزمهم ان ما اراده ملك الملوك لا يوجد في ملكه وان ما كره
يكون موجودا فيه وذلك نقصان شنيع في السلطنة والملكوت وذلك ان ملك
الملوك سبحانه اذا اراد من زيد الصلوة ولم يصل وكره الزنى وزنى كان في ملكه
ما لا يريد ولم يكن فيه ما اراده ابي ما شاء الله كان وما لم يشاء لم يكن واذا
كان ملكه كذلك لم تكن سلطنته تامة وما كان كذلك لم يكن عظيم السلطان ويكون
ملكوته ناقصا لان ملكوته تابع لارادته ويجب ان يكون الملكوت مطابقا
للملك والملكوت في الملك كالروح في الجسد والملكوت فعلوت من الملك
للمبالغة كالرحموت من الرحمة والرهبوت من الرهبة فاذا اراد الصلوة لتتقوم
من زيد كانت صورتها في الملكوت فاذا لم يصل زيد اضمحلت الصورة لان
الصلوة لا تقوم بدون المادة فكان نقصا في الملكوت واعلم ان كل مفتون الملقى
حجته وقد نصب الله لكم مرايا ومعلمين فمن اراد ان ينظر وجهه في المرآة
الصافية وهي القرآن والسنة فمن لم يدرك صفة وجهه لضعف بصره فليرد الى
فوق البصر ليريه صفة وجهه وهم المعلمون حيث الله يقول وتلك الامثال
نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون وهم الذين قال الله تعالى فيهم لمن كان
له قلب والمتعلمون هم من القى السمع وهو شهيد بذ وقدمنا القى اليه من المعلم
والباقي اوجب الله عليهم الرد الى المتعلمين الذين عقلوا عن المعلمين فانهم

نظر
الوسائط بين الرعية وبين الراعي ولا يجوز لاحد من الرعية ان يسلك طريقا بدون
الوسائط من قوله تعالى وجعلنا بينهم اي بين الرعية وبين القرى التي باركنا فيها وهم
آل محمد قرى ظاهرة وهم الوسائط وقدرنا فيها السير اي لا بد لكل سالك منها
لنزول في القرى الظاهرة والسير منها اي في خلالها وفيما بينها ليتعلم ما يحتاج
اليه منها في مسيره ليالي مما افتيكم به من المعلمين مما لم تعرفوا ماخذه ولا تعقلوه
وايّاما مما عرفتم دليله من المتعلمين عن المعلمين وعقلتموه او بالعكس على احد
التاويلين امنين من العثرة والضلالة فارجعوا بذلك عن الغفلة والجهالة وفي
رواية ان المراد بالقرى الظاهرة هم المعلمون ظاهرا وان المامورين بالسير هم
المتعلمون وان القرى التي بارك الله فيها هي علاماته سبحانه ومقاماته التي لا تعطيل
لها في كل مكان ولذلك قال الصادق ع لا جبر ولا قدر ولكن منزلة بينهما فيها الحق
التي بينهما لا يعلمها الا العالم او من علمها اياه العالم اراد ع بلا قدر لا تفويض فقا
لوا ربنا باعد بين اسفارنا اي لا نحتاج الى الوسائط وظلموا انفسهم اي وضعوها في
غير مواضعها فجعلناهم احاديث اي مثلات ومواعظ والسعيد من وعظ بغيره
والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد واله الطاهرين قال وذهبت طائفة والمراد
بهم اصحاب ابي الحسن الاشعري الى انه لا مؤثر في الوجود الا الله المتعالي عن الشر
يك في الخلق والايجاد كما انه متعال عن الشريك في الخلق والايجاد وكل يتعالى عن القبح
والاتحاد وقد مضى بيان وجه الشركة عندهم في قول المعتزلة يفعل ما يشاء ويحكم ما
يريد بهذا ان الحرفان محكان وليس في الحقيقة فيهما للاشعري حجة لانه سبحانه اجرى
بحكمته مشيته على وجهين ويأتي بيان المشيتين انشاء الله تعالى لا علة لفعله ولا
راد لقضائه لان العلة لو كانت لزم الدور والتسلسل ان انحصرت في معلولها
وان انتهت اليه لزم الحاجة والكل محال اما الاول فلو خلق الاشياء كلها لعلة
فاما ان تكون ذاته او انتهت اليها او لا فان كانت ذاته او انتهت اليها لزم الا
حتياج وان كانت غير ذاته فهي مخلوقة اذ لا واسطة ومعلولة والا لم تكن
لفعله علة فان انتهت الى واحد جاء الدور وان تراخت جاء التسلسل فلم يكن
الا انه يفعل لا لعلة ولا راد لقضائه معلوم بالعقل والنقل ويلزم منه ان الاشيا
كلها بقضائه خيرها وشرها وحلوها ومرها والا كان في ملكه ما لم يقضه واذا كانت
كلها بقضائه لا فعل للعبد مع فعل الرب لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون لان افعاله لم
لا تجري على العلل سوى ذاته وهو يحكم ما يريد ولا يحكم عليه وهم يسئلون لانه

يحكم علومهم ويسلبهم كما اجراه على ايديهم كما اجراه على ايديهم بلا سبب سوى ذاته ولذلك
ان الحاد للعقل فى تحسين الافعال وتقبيحها بالنسبة الى الحسن صدورها كما عنه نعم
لعدم العلة فى فعله ولقدسه ولعموم قدرته فكل ما يفعل المحبوب محبوب والاسباب التى
ارتبط بها وجود الاشيا بحسب الظاهر بحيث تترتب عليها المسببات ظاهرا فى بادى الراى
ليست اسبابا حقيقة لان الاسباب سواء كانت تامة او ناقصة لابد وان يكون اما
ان استقلت به فى المسببات تاما كان او ناقصا وقد تقدم انه وجود ولا يكون من غير
الواجب تعالى واذا ثبت ذلك فلا انه لا مدخل لها فى وجودها الا الارتباط الظاهرى
وللصورة به لكنه اجرى عادته بانه يوجد تلك الاسباب اولا ثم يوجد تلك المسببات
عقيبها والوجدان شاهد بعدم وجود العادة وعدم الوجوب يدل على عدم
السببية حقيقة والا اجتمع النقيضان فكل من الاسباب والمسببات صادرة عنه
ابتداء لعدم فيضها الى غيره وقالوا فى ذلك تعظيم لقدرة الله وهو ان كل شىء منه
وبه وله واليه وتقديس لها عن شوائب النقصان بالحاجة الى السببية فى
التاثير الى امر آخر وصرف الى متعلق بالحاجة اى الاحتياج فان من احتاج فى تاثيره
فى معلوله الى سواه يكون ناقصا وتماما بذلك السواء واذا قيل بعدم التاثير
من سواه مطلقا كان تنزيها للقدرة عن شوب النقصان ثم قال السيد وذهب آخرون
وهم الحكماء الالهيون الى ان الاشيا فى قبول الوجود من الواجب الوجود
واذا نسبت الاشيا اليه فى القرب والبعد والشدة والضعف متفاوتة لا انه
لا العكس لان نسبته سبحانه الى جميع الاشيا نسبة واحدة لا تفاوت فيها قال تعالى
ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت اى فى فعله لان المتفاوت متهافت فبعض منها
لا يقبل الوجود الا بعد وجود آخر لانه ما نقصت قابليته عن قبل وجوده لو
كان موجودا قبل تمامها لكانت الاشيا كلها على حال واحد والواقع بخلافه والاية
المشهودية بخلافه فيكون وجود ذلك الاخر تمام قابليته لوجوده كالعرض الذى
لا يمكن ان يوجد الا بعد وجود الجوهر لنقص قابليته عن قبول وجوده وتمامها
وجود الجوهر الذى يحل فيه ونقص قابليته ليس من نقص فى القدرة ولكن لضعف
وجوده بالنسبة الى الجوهر الذى لا يتوقف على وجود غيره مثلا فلو تعلقت
القدرة بوجوده بدون الجوهر لان وجود المتحيز شرط فى وجوده وتمام قابليته
فالعجز والنقص منه لانه سبحانه اغنى واقنى واعطى بالنسبة اليه سبحانه دفعة
واحدة وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر فسالت اودية بقدرها فقدرته نعم

أعم بالفعل [illegible]
بعلم ودليل [illegible]
والشهود [illegible]

فی غاية الكمال الكامل تفيض الوجود علی الممكنات بحسب قابلياتها المتفاوتة ولكون جهات
ما علموا فبعضها صادرة عنه بلا سبب كالعقل الكلی مثلا وبعضها بسبب كالنفس
الكلية بواسطة العقل او اسباب كسائر الموجودات وتلك الاسباب لها مدخل فی
وجود ذلك البعض وانما تكون الاسباب اسبابا لانها تمام القابلية مسببا بها للوجود
والقابلية بسبب الوجود انفعال الممكن فی الحقيقة عند فعل الحق سبحانه وذلك
لنتم القابلية من الحق لا النقصان فی القدرة بل لنقصان فی القابلية للعجز عن
الاستقلال وللطف الفاعل ورحمته وكيف يتوهم النقصان والاحتياج فی القدرة
مع ان السبب المتوسط صادر عنه ايضا وهو الجوهر فی المثل المتقدم متوسط
بين فعل الحق سبحانه وبين العرض فالله سبحانه غنی يحتاج فی ايجاد الاشياء الی ما
ليس بصادر عنه اقول لا اری فی هذا الكلام ان مفهوم الصفة صار المنفی الحاجة
فی المنفی المنفی بل اراد ان نفی الحاجة عنه الی كل شیء فی القدرة وكذلك اراد وانه ليس
فی المخلوقات ما يتوقف وجوده علی ما ليس بصادر عن الله ولا بالله وقالوا الاربعة
وجود موجود علی الكل وجود داخل فی حيز الامكان العام ولا ريب فی ان صدور الممكنات
عنه علی ابلغ النظام منه سبحانه واحسن الانتظام فيما بينهم فالصادر عنه هو الوجود
جود لان الوجود عند المتكلمين ومن حذا حذوهم عرض حال بالماهية او قائم
بها وعند الاشراقيين ان الوجود هو الموجود والماهية قائمة به ثابتة عنه واختلف
المتكلمون والحكماء من الرواقيين والمشائين هل الماهية مجعولة ام لا وليس هذا محل
الكلام فيها والحق انها مجعولة بالوجود ای بجعل الوجود جعلا ثانيا وبالعرض
وحيث كان كان القول الثالث فی القدر للاشراقيين الذين يذهبون الی ان الوجود ٢ بهذا الحج
هو الموجود قالوا فالصادر عنه واراد وابن المفضول وهو من المعلوم ان الصادر عن
الموجود سبحانه انما هو الوجود وهو الموجود اما خير محض كالملائكة وذلك ان الحدث
من حيث هو يلزم الاعتبار ان الله ان ذكر ناهی ايضا وهو الفقير الغنی من خالقه
والفقر من نفسه فالغنی والخير فی المخلوق هبة من الوهاب الواجب وتلك الهبة
نفسها فقيرة الی واهبها قال تعالی ومن كل شیء خلقنا زوجين فالكلمة العليا هی الخير
المحض بحكم التبديل وهو الملك والكلمة السفلی هی الشر المحض وهو الشيطان فاسمع
ثم احفظ ويأتی بهذا الكلام واما بكسر الهمزة ما يكون الخير منه غالبا علی الشر ٢ تمام ح
كالانسان وسائر الحيوان واما ما قابل الملك فلان وراء الخير وخلفه موجود
وان كان شرا محضا فی نفسه ولكن ايجاده الذی هو من الخير غالب علی عدميته

التي هي الشر لان ايجاده من تمام ايجاد ضده ولازم قيامه ومن نهاية قوامه فالخير
غالب على الشر ورحمتي وسعت كل شيء فان مع العسر يسرا ان العسر يسرا فتكون
الخيرات داخلة في قدرة الله بالاصالة لانها وجود والوجود خير كله ولانها صفة
القدرة ومنه واليه يصعد الكلم الطيب والشرور اللازمة للخيرات داخلة
فيها بالتبعية لكون وجود الشر بتبعية وجود الخيرات ولانها صفة نفس الصفة
وبلا منه ولا اليه فمن ثم قيل ان الله يريد الكفر والمعاصي الصادرة عن العباد
وارادة تابعة لارادة الخيرات لا ارادة ابتدائية ولكن لا يرضى بها لان الرضى
اول والسخط اخير وفي الحديث القدسي سبقت اي ذاتية رحمتي غضبي فالغضب و
السخط يترتبان في وجودهما على الرحمة والرضا لكونهما مقابلا والارادة الابتدائية
يساوقها السخط فارادة الكفر والمعاصي تابعة لارادة الايمان والطاعة على
قياس من لسع الحية وهي التي تقتل كالحية المسماة ببنت طبق ونحوها من الحيات
اللاتي لا علاج لها الا بالقطع اصبعه وكانت سلامته موقوفة على قطع اصبعه
فانه يختار قطعها اي قطع اصبعه بارادته وهي ارادة تابعة لارادة السلامة ولهذا
قالوا لكن بتبعية ارادة السلامة لان القطع شرط السلامة فلزم ارادة السلامة
ارادة القطع ولولاها اي ارادة السلامة لم يرد القطع اصلا فيقال هو يريد السلامة
ويرضى بها ويريد القطع لاجل السلامة لا لذاته ولا يرضى به لانه مكروه وانما
طلب لدفع ما هو اكره منه وهو السلامة السلف اشارة الى الفرق الدقيق بهذا الكلام
الشريف واراد بذلك ان الحكماء انما قالوا ذلك اشارة الى الفرق الدقيق بين
فعل الرب وفعل العبد في المعصية وانت تعلم ان اسلم العقائد عن الافات
وهي العيوب التي لا يستقيم معها الاعتقاد واصحها عند ذوي البصائر
يعني بهم اشاعرة تنزيه الرضى عن كل عيب كليلة النافذة في حقائق المعارف
لاريب ان نفوذ بصائرهم في الحقائق على نحو عاجزهم قوله تعالى فيتبعون ما تشابه منه
ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله فبالله عليك ايها الناظر الا ما نظرت بعين
الانصاف وتركت التعصب والاعتساف في هذه الثلاثة ثم اذا عرفتها وعرضتها
على الفطرة بالكتاب والسنة وصفا الحق وزهق الباطل فاختر لنفسك ما
يحلو اقال ما ذكرناه ثانيا متوسطا بين الاول والثالث وانما وسطه في الذكر
ليرتب عليه قوله خير الامور اوسطها فلو كتب المعتزلي هذه المذاهب وجعل مذهبهم
ثانيا كان الحق معه وخير الامور اوسطها وكذلك الحكيم اذا جعل مذهبه متوسطا

ان
تميز كل عين السخط
تبدي المساوي

بالكتابة كان الحق معه وهذا خرافات التوهيم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما
فعلوه ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالاخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم
مقترفون وليس يرضى به الا اهل الغباوة ومن ختم الله على قلبه وسمعه وجعل على ۲ ختم الله ج
بصره غشاوة والله الملهم للصواب بهذا الحرف محكم ومسلّم وهو ما نحن فيه ولكنه نعم
ليس مثلهما للخطاء نعم ربي نعم نعم والى المرجع والماب ليبين لهم الذين يختلفون
فيه وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين واعلم انك اذا اردت المذهب المتوسط
بحيث يستند عليه خير الامور اوسطها هو مذهب الحكيم وهو الاخيق والذكى
لان المعتزلى ذهب الى ان الافعال من العبد خيرا وشرا مستقل بذلك اليس لاحد
من عباده فيها حال من الاحوال والحكيم من هذا المتوسط بان جعل الخيرات من
الله وبالله والشرور بالله لا منه لكون الشرور وجدت بوجود الخيرات فتكون
صفة نفوس الخيرات فهو اوسط الثلاثة وضوءا فهو الحق المبين والصراط المستقيم
وهو يبين ان الاعتدال الذى ضرب الله فيه الامثال وكتابنا نزل بلسان اهل الشرع
وينبوع الاصل والفرع يحتاج الى التقديم مقدمات واشارات الى بعض الايات وشرح
الحال بنصب المثال فاعلم انه لما فاض الوجود من كتم الغيب ظهرت به المهية لانها
ضده وكل شىء له ضد الا الواحد الفردي عز وجل فالوجود من الله واليه يعود والمهية
من الوجود واليه يعود فللوجود صفات وللماهية صفات وكل صفة من صفات المهية مقا
بلة لضدها العام من صفات الوجود والوجود وكل صفة من صفاته بارادة من
الله لذاته ورضى به كذلك والمهية وصفاتها تمام امكان الوجود وصفاته فارادتها ثانيا
بعرض لارادته فتكون الارادة لها للوجود لا بذاتها فارادتها لذاتها ثانيا وبالعرض
وكذلك صفاتها فى مقابلتها بالة صفات الوجود على نحو واحد فالوجود من الله واليه يعود
وارادته لو ارادة محبة ورضى اولا وبالذات والمهية من الوجود واليه وبالله لا منه
ولا اليه وارادته لها ارادة عزم وقضاء لا محبة ورضى والامثلة المضروبة لذلك
كثيرة جدا فى العوالم ومنها الشمس واشعتها الواقعة على وجه الجدار مثلا والظل
الممدود خلف الجدار فالوجود شعاع الشمس الظاهر عن يمين الجدار هو من الشمس
واليها يعود وارادتها لذلك الظهور لوكانت مختارة مثلا فى مقام الدور الرابع ارادة
محبة ورضى لذاته ولولا الجدار وكثافته لم تظهر الاشعة للبصر فالشمس بالشعاع
الظاهر اولى من الجدار ولولا ام لحسن وان كان موجودا عنده بالاخفى ومثال المهية
الظل الظاهر عن شمال الجدار هو من الجدار واليه يعود لا من الشمس ولا يعود اليها

ولكنه بها ظهر ولولاها لم يظهر وان كان موجودا في الجدار يعني انه لا يوجد الا بها وانه لا دخل لها
للظل في الظهور لو كانت مختارة كان ارادة عزم وقصد الا المحبة ورضى اذ لو اجبر ورضيه
لعاد اليها ولو عاد اليها لم يكن ظلا ولو لم يكن ظلا لم يكن شعاع لان الجدار في المثل هو نفس
الشعاع من حيث نفسه لا من حيث الشمس وانما نسامحنا في العبارة للبيان فالجدار
اولى بالظل من الشمس ولولاها لم يكن وصفا الوجود وصفات المهية بهذا النحو فاذا
لاحظت هذا المعنى وهذا المثال ولاحظت الداعيين المتقدم ذكرهما العقل والنفس ولا
حظت جهة الصلوح التي يأتي ذكره عرفت الطاعة والمعصية واسنادهما من الله ومن العبد
والى ما ذكرنا الاشارة بقوله تعالى ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت فمثل الطاعة
بالشجرة الثابتة الاصل لان الطاعة اصلها الوجود الثابت الباقي ببقاء ربه وقال تعالى
ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض فمثل المعصية بالشجرة المجتثة
لان المعصية من المهية واصلها المجتث لانها تنتهي الى الامكان الممتنع من البقاء لذاته
ومثل قوله تعالى والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج
الا نكدا فاسند الخبث الى الخبيث ولكن اخرج نباته الى نفسه ومثل قوله تعالى
وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر فالقصد عليه والجور منها وقوله تعالى وما تشا
ؤن الا ان يشاء الله فاسند المشية الى العباد وجعل وجودها موقوفا على مشيته
وقوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فنفاه عنه اولا واثبته واسنده اليه
ظاهرا والى هذه الاولوية التي ذكرناها في المثال واثبات لها الايات المذكورة الاسناد لا
الاشارة بقوله تعالى في الحديث القدسي انا اولى بحسناتك منك وانت اولى بسيئاتك
مني وبيانه في العبد انه سبحانه خلق في عبده الالة الصالحة للطاعة والمعصية خلقها
للطاعة لا للمعصية ولا يستتم خلقها للطاعة الا اذا كانت صالحة للمعصية ليجري الاختيار
وينتفي الاضطرار ويترك المعصية مع القدرة عليها وخلق فيه الصحة وهي القوة
التي يكون العبد بها متمكنا مستطيعا للفعل وتكون صالحة للضدين اذ شرط
التكليف باحدهما التمكن من الاخر وصحة الاقتدار ليتم الاختيار فصلوح الا
لة والصحة للطاعة والمعصية لازم لصلوحهما للداعيين العقل والنفس فاذا
صلح العقل والنفس لاستعمال الالة والصحة بمقتضى كل منهما وصلح العبد لا
ستعمال العقل والنفس لشهوته لمقتضى كل منهما الالة العبد مظهر الامر كن من
الكاف جاء العقل ومن النون جانب النفس صح الاقتدار على الطاعة والمعصية لان
الصلوح شرط الاختيار واذا لم يكن العبد مختارا كان مجبورا ولولا كونه مشية

العبد للطاعة من مشيئة الله لها بالذات وللمعصية من مشيئة لها بالعرض كما مرّ مكرراً لزم
ان يكون في ملكه ما لا يريد وما لا يريد لا يكون والى هذه الشقوق الثلاثة الاشارة بقوله
الرضا ع ان الله لم يطع باكراه ولم يعص بغلبة ولم يهمل العباد في ملكه هو المالك لما ملكهم
والقادر على ما اقدرهم عليه الحديث فلاجل هذا الصلوح الذي هو مناط الاختيار لم تكن
الطاعة لله باكراه ولان المكره غير مطيع ولاجل كون مشيئة العبد لمعصية الله من مشيئة
الله لها بالعرض فكون مشيئة الله لها بالعرض من تمام مشيئة الله للطاعة بالذات كما
مرّ فلاحظ فلاجل ذلك لم يعص بغلبة ولاحظ الصلوح المذكور آنفا هنا والى هذه المشيئة
اشار بقوله تعالى وما تشاؤن الّا ان يشاء الله ولاجل خلق الالة والصحة التي يستعملها
العبد بالمشيئتين الاختياريتين جاء التكليف ولم يهمل العباد في ملكه واشار الى الامر بين
الامرين بقوله هو المالك لما ملكهم فقوله هو المالك نفي للتفويض كما قاله المعتزلي و
قوله لما ملكهم نفي للجبر كما قاله الاشعري وهو قول الصادق ع لا جبر ولا تفويض ولكن
امر بين امرين والامر بين الامرين الذي اوسع مما بين السماء والارض هو ان الطاعة
التي هي من الله واليه وبامره ورضاه ومحبته ومشيئته لا تظهر الا بالعبد المختار على نحو ما
مضى فلاحظه تجد تلك الايمان وان المعصية التي هي من العبد واليه لا تكون الا بالله
لا عنه ولا اليه ولا بمحبته ولا رضاه ولكن بارادته التي هي ارادة الحتم الثانوي التي
عبّر عنها سابقا بالقدر والقضاء ولاحقا بانها ارادة بالعرض وتارة بالترك والخذ
لان وبخلقه الالة والصحة فلذا كان سبحانه اولى بالحسنات من العبد ما اصابك
من حسنة فمن الله واستحقاق العبد الثواب عليها من جهة انها لا تظهر الا به على نحو
ما ذكره الحكيم من نقص قابليتها وتمامها بما منّ العبد فلذلك كان اولى بالسيئات
من الله واستحقاق العقاب مع ظاهر المشاركة المفهومة من الاولوية من حيث انها
منه وان المشاركة الظاهرة بانها لا تظهر الا بالله لا منه وليس كونها بالله من تمام
قابليتها كما في الطاعة لان ما بالعبد في الطاعة من الله ايضا كما في الدعاء وجعل ما له
امتن به على عباده كفاء لتادية حقه وليس ما بالله في المعصية من العبد والا لزم
التفويض والاستقلال فان قلت لم كان ما بالعبد في الطاعة من الله وذلك دليل
مذهب الجبر في الطاعة قلت كلامنا كله ووضع هذه الكلمات انما هو لبيان هذه المنزلة بين
المنزلتين في القدر وراء ذلك ليس ان نتكلم به قبل الاذن لانه من المكتوم والمراد حاصل
على انه اذا ظهر لك الامر بين الامرين بلا لبس في المعصية فلا تطلب ما وراءه وان
ابيت الا التمحل فافهم قولي من الله ولا تؤذن في الزيادة ومعنى كون المعصية بالله خلقه

الآلة والصحة والمشية والاختيار وان لم يكن خلقه لما فعلهما العبد وقواهما بد الا
مندوما اصابك من سيئة فمن نفسك ولذلك كانت محبته على عمومها ولو تحققت
المشاركة لم تكن محبته وانما اختلف ظهور مشية الله حتى تعددت بمشية القابل وقا
بليته لها مع ان كلها تبد يعين لاختلاف مركبها وتعدده فتنوعت في ظهورها بالآثار
بتنوع محلها الذي تتعلق به ونظيره اشعة الشمس الواقعة على الزجاجات المختلفة
الالوان فتنعكس عنها مختلفة وان كانت الاشعة متفقة في نفسها فالاختلاف انما
من العبد ونظيره ايضا كما قال الشاعر: ارى الاحسان عند الحر دينا وعند النذل حكم
منقصة وذما: كقطر الماء في الاصداف درا: وفي بطن الافاعي صار سما: والى ذلك الا
شارة بقول الصادق ع في دعاء رجب المشتمل باسمك الاعظم الاعظم الاعظم الاجل
الاكرم الذي وضعته على النهار فاضاء وعلى الليل فاظلم ومثل ذلك في فعل الفاعل على ما
رواه الشيخ حسن ابن سليمان الحلي تلميذ الشهيد الاول وهو شريك الشيخ احمد
ابن فهد الحلي ره جميعا روى في كتابه ره بسنده المتصل الى الصدوق ره انه قال رجل
لعلي ابن الحسين ع جعلني الله فداك ابقدر يصيب الناس ما اصابهم ام بعمل فقال ع
ان القدر والعمل بمنزلة الروح والجسد فالروح بغير جسد لا تحس والجسد بغير
روح صورة لا حراك لها فاذا اجتمعا قويا وصلحا كذلك العمل والقدر فلو لم يكن القدر
واقعا على العمل لم يعرف الخالق من المخلوق وكان القدر شيئا لا يحس ولو لم يكن
العمل بموافقة من القدر لم يمض ولم يتم ولكنهما باجتماعهما قويا ولله فيه العون لعباده
الصالحين الحديث فافهم وهذا هو الامر بين الامرين وقد كشفت
القناع لذوي الانتفاع وكثرت الترديد في العبارة بما هو مفيد والحكيم وان كان
الحق فيما قال من بين الثلاثة هو الاوسط لكنه لا يقطع حجة من يعترض الا
اذا كان من اهل العرفان واستفاد من اهل المعاني البيان وكلامنا هذا لمن عرفه
قاطع لكل عذر لانه في هذا الشأن ثمرة الحجج الثلاث حجة الحكمة وحجة الموعظة الحسنة
وحجة المجادلة بالتي هي احسن ممن سكن بيوتنا واكل وشرب من طعامنا وشرابنا
فليسلك هذا الطريق المظلم بمصباح صناعته يصل الى الفضاء الواسع والضياء اللا
مع والا فليحذر ولينظر الى قول امير المؤمنين ع للاغبياء الذين لا يفرقون بين
الليل والنهار قال لما سئل عن ذلك فقال بحر عميق فلا تلجه وسئل ثانية فقال
طريق مظلم فلا تسلكه وسئل ثالثة فقال سر الله فلا تتكلفه الحديث فانظر
الى كلامي هذا فان عرفت مرادي والا فلا تتكلف سر الله ورده الى الله والى رسوله

والى الحفظة والى من عملوه ذلك وتمام بيان الحجة الثلاثة بايراد كلام في الجملة في الرد
على المعتزلي والاشعري وهو ان قول المعتزلي فوض اليهم الاختيار فيها ثم قرع عليه
انهم مستقلون بايجاد ما الخ لا يمكن تعقله مع القدم وانما يكون مع الحدوث لان
القديم لا يكون في ملكه ما لا يريد وهذا لا يجتمع مع الاستقلال بل هو نقص ولذا
قد قال الصادق ع ومن زعم ان الخير والشر بغير مشية الله فقد اخرج الله
من سلطانه ومن زعم ان المعاصي بغير قوة الله فقد كذب على الله ومن كذب على الله ادخله الله النار
قال امير المؤمنين ع في حديث الشامي ولم يملك مفوضا وقال الصادق ع ولو
فوض اليهم لم يحصرهم بالامر والنهي وفي رواية حريز بن ابن مسكان عن ابي عبد الله ع
انه لا يكون شيء في الارض ولا في السماء الا بهذه الخصال السبع بمشية وارادة وقدر
وقضاء واذن وكتاب واجل فمن زعم انه يقدر على نقض واحدة فقد كفر وعن ابي ٢ الزام في
الحسن موسى بن جعفر ع قال لا يكون شيء في السموات ولا في الارض الا بسبع
بقضاء وقدر وارادة ومشية وكتاب واجل واذن فمن زعم غير هذا فقد كذب
على الله او رد على الله هو وهذا الترديد من الراوي وبيان هذا قد مضت الاشارة
اليه فلاحظ كيلا يلتبس عليك الامر من هذين الحديثين اللذين ظاهرهما الجبر
فان هذه السبعة على نحو ما قلنا لك في المشية وقال ابو الحسن الرضا ع ان لله
ارادتين ومشيتين ارادة حتم وارادة عزم ينهى وهو يشاء ويامر
ولا يشاء او ما رايت انه نهى ادم وزوجته ان ياكلا من الشجرة وشاء ذلك ولو لم
يشأ ان ياكلا لما غلبت مشيتهما مشية الله وامر ابراهيم ع ان يذبح اسحق ع
ولم يشأ ان يذبحه ولو شاء لما غلبت مشية ابراهيم ع مشية الله فقد ظهر لك
مما مضى بيان المشيتين والارادتين والفرق بين المشية والارادة مذكور
في رواية يونس الاتية وان كنا وعدناك الزيادة واختصرنا خوف الاطالة
هنا الا انه لا باس ببعض الاشارة وهو انه تعالى شاء الامر بالشيء وشاء
محبته ورضاه وقضاء لما علم مشية اقتران لما لم واختيار لهم وهو واقع وشاء
نفس الامر بالشيء مشية ومحبته ورضاه كذلك وشاء الا يقع ذلك الشيء مشية
قضاء لا رضى كذلك وهذه المشية عن شمال الاولى وتلك يمين وانقل الكلام
في النهي وفصل بهذا المعنى في الخصال السبع التي يتوقف عليها الشيء من طاعة
ومعصية وليس للاشعري بمثل اخبار الخصال السبع حجة مع ما يلي من ومنه
ويأتي بعض ما يلزم فقد ظهر بطلان كلام المعتزلي في قوله بالتفويض ولا ينافي

هذا وهو نسبة التفويض اليه قولنا قبل انه اول من قال بالمنزلة بين المنزلتين
لان مراده ليس في هذا وانما هو يقول ان صاحب الكبيرة لا مؤمن ولا كافر لا في
الشان والا لكان محققا والتعزير الذي حده على الضلالة والكفر وكذا الثواب
والعقاب والوعد والوعيد يحصل بدونه القول بالتفويض وغير ذلك واعلم ان
هذا القول هو التفويض لانهم يسمون لهذا تارة مفوضة وتارة قدرية وهم
قدرية هذه الامة ومن كتاب الشيخ حسن ابن سليمن الحلي عن امير المؤمنين ع
قال ان ارواح القدرية تعرض على النار غدوا وعشيا حتى تقوم الساعة فاذا
قامت الساعة عذبوا مع اهل النار بانواع العذاب فيقولون يا ربنا عذبتنا
خاصة وتعذبنا عامة فيرد عليهم ذوقوا مس سقر انا كل شيء خلقناه بقدر انتهى
وسانذكر لك بعض الروايات مسرودة شرحها فيما ذكرنا فاعطها التامل الحق
يعطك المذهب الحق وتصدق ما ذكرت ذلك واما قول الاشعري انه لا يؤ
ثر في الوجود الا الله فان اراد بالوجود من حيث هو هو خالفت عبارته وان ارادته
اراد به الوجود من العباد وافعالهم فقد تقول على الله حيث الله يقول أانتم
اعلم ام الله والله الذي يعلم ما خلق يقول حكاية عما ينسبون ما عملوه اليه فويل
للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به
ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون وقال تع وقالت
اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ما
اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك وكقوله تع ان الله
لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون وقال فريقا هدى وفريقا
حق عليهم الضلالة واسند الهداية اليه واسند الضلالة الى نفسها اشعارا
لا يقال ان الله تع اسند الضلالة له تارة لانا نقول ان الاضلال المسند اليه انما هو
استحقاق طبايعهم واختيارهم وقد بينه سبحانه في كتابه بحيث لا يكاد يحتاج مع
الكتاب التدبر الى تفسير ومع ذلك انه قد علم ما الخلق اليه صائرون بعلمه الذي هو ذاتيه
الاول الاخر الظاهر الباطن فافهم ثم فافهم وفي الخلق السعيد الذي يستحق السعادة
وما يترتب عليها من الثواب والشقي الذي يستحق الشقاوة وما يترتب عليها
من العقاب وقد اجرى حكمته كما هو انه لا يمضي مفعوله الا مشروحا مبينا وانه
يبلي الاعذار فلله الحجة البالغة فلو عذب الشقي قبل ان يعمل مقتضاه واسعد
السعيد لكان للشقي ان يقول لم تعذبني قبل المعصية وتشهد له الخلق فاراد

ان يخبرهم ويستنطق حقايقهم ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيّ عن بينة ولا
يستنطقهم الا بما لايعلمون ولا يكون الا بعد تعرّفهم بانه لايقول الا الحق وهو
العليم الخبير وانما يفعل للمصلحة ويأتى بيان هذا الحرف فبعد ان عرّفهم نفسه
وصفاته وافعاله فى العالم وفى كتابه وفى انفسهم وعلى السن الهادين كلفهم بما فيه
نجاتهم واراد ان يستنطقهم بالحق الذى لايعلمونه ليجزى قوما بما كانوا يكسبون
ومما استخرجهم به ما قال فى لظى عليها تسعة عشر فقال الكافرون نعجز عن اتمام العشرين
وقال المؤمنون هو اعلم بما خلق وفى ذلك فوائد ذكرها فى كتابه وما جعلنا اصحاب النار
الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا والمراد به الاختيار واستنطاق
الطبيعة بدليل ما اخبر به عن مآل فتنتهم الى ما برز عنهم فى عاقبتهم ومما اسنده اليهم
ولم يسنده اليه ولا الى فتنته لهم لكونه منهم وان كان بفتنته كما مر ليستيقن الذين اوتوا
الكتاب بموافقته لما فى توراتهم وانجيلهم وزبورهم ان الزبانية تسعة عشر ويزداد
الذين امنوا بانه لايقول الا الحق وانه اعلم بما خلق ايمانا بذلك وهو موافقة للكتب
المتقدمة ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين فى قلوبهم مرض
والكافرون ماذا اراد الله بهذا مثلا واللام فى وليقولوا للعاقبة فى الظاهر وفى
الباطن مما امرنا بكتمانه ويأتى فى رواية صالح ابن الحكم النيلى نظيره وهو من المكتوم
فلما صاروا فى عدد الزبانية بعد ما تعرّف سبحانه اليهم بانه لايفعل الا بعلم وهو
يعلم بما خلق بقولهم ماذا اراد الله بهذا مثلا لايتمها عشرين وبعض منهم يقول
على سبعة عشر اكفيكم وانتم عن اثنين فيتحير من صغى الحق ويستيقن من لا تنم
من الذى حيث لا يخرج الا نكدا فاستنطق ما فيه فنضحوا بما فيهم وهو سبحانه سيجزيهم
وصفهم فكان منهم ما فى علمه بابتلائه واستنطاقه لهم بعد هداية النجدين وايلاء
الاعذار والتقديم بالوعد والتلطف فى الترغيب فبلغت حجته وعلت كلمته وما كان
ربك بظلام للعبيد وقال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا اى عقلا او عاقلا
فهذا الاضلال منه سبحانه لهم ولذلك قال بعد قولهم ماذا اراد الله بهذا مثلا وبعد
قول المؤمنين ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون قال يضل الله من يشاء ويهدى
من يشاء ومثل ذلك قوله تعالى ان الله لا يستحيى ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها فاما
الذين امنوا فيعلمون انه الحق من ربهم انه لا يمثل بالبعوضة فما فوقها وهو جناحها
او الذبابة الا ما هو كذلك بحيث لا يحسن ان يمثل به النسر والفيل لانه يقول الحق ولا يستحيى
واما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا يعنى ان البعوضة والذبابة مما

مستحجنة في المثل ولا يعلمون انه تمثيل حبة الخردل بالجبل الجحي واقبح فاستنطقهم عما بين
جوانحهم من الانكار في الاظلة وقبل ذلك وبعد ذلك مرة بعد اخرى وما كانوا مؤمنين بما
كذبوا به من قبل فقال تعالى يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا اي يضل بالمثل المستخرج به كثيرا ممن
مارى فيه ويهدي به كثيرا ممن علم انه الحق من ربهم وكما وعد سبحانه على لسان نبيه موسى
عم بني اسرائيل لتنزيل التوراة باربعين يوما وامره بكتمان عشرة ايام عنهم لما علم منهم
فوعد موسى عم بذي القعدة وذلك بعد ان عرفهم عن الله سبحانه انه يمحو ما يشاء
ويثبت ولا يمحو ولا يثبت الا لحكمة وقال لهم عنه انه لا يسئل عما يفعل وميعادي ثلثون
يوما ذو القعدة وربي يمحو ما يشاء ويثبت وهذا اخي خليفتي عليكم فان نسيتم او جهلتم
وهو الذي نصبه الله لكم يذكركم ويعلمكم فلا ترغبوا عنه فتهلكوا فلما مضى الطور وصام
واستاك اخر ذي القعدة وكرهت الملائكة ذلك منه وهو صائم امره باتمام عشرة ايام
لذلك وليبتلي ما في صدور قومه فعبد الظالمون منهم العجل بفتنة ابتلائهم واستنطق
حقائقهم باخفاء عشرة ايام فكذب بذلك الجاحد ولانهم قبل ذلك لم يجد والجاء
من الاقرار فلما وجدوا اظهروا ما كتموا وازداد بذلك المؤمنون ايمانا لثباتهم على
ايمانهم مع ما يخالف اوهامهم ولايمانهم بالبداء الذي ما بعث نبيا الا به فقال تعالى
حكاية عن موسى عم في ذلك ان هي الا فتنتك اي اختبارك وابتلاؤك تضل بها من تشاء
اي بكتم العشرة اي يمحو الظاهر او اثباته وتهدي بذلك من تشاء وامثال ذلك كثير
وعلى ما ذكرنا لك ينكشف لك الحال من الهداية والاضلال وايضا على ما مضى في قول الا
شعري انه تعالى متعال عن الشريك في الخلق والايجاد لانه ينافي الوجوب فكذا يتعالى
عن القبيح والكفر والالحاد ونقص من عن ظلم العباد لانه ينافي الغنى المطلق وقد رد
هو سبحانه على من رد بذلك حيث يقول واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها اباءنا
والله امرنا بها قل ان الله لا يامر بالفحشاء اتقولون على الله ما لا تعلمون قل امر ربي با
لقسط الاية وقال فذرهم وما يفترون وقال ذروا الذين يلحدون في اسمائه سيجزون
ما كانوا يعملون وقال سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا نحن ولا اباؤنا
ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا باسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه
لنا ان تتبعون الا الظن وان انتم الا تخرصون فلينظر العاقل في هذه الآيات المحكمات كيف ترمي
الاشعري الى المتشابه وهل هذا الا ابتغاء التاويل وانت اذا تدبرت القرآن كفاك
في هذا الشأن بانه الله فعل الطاعة بالعبد والعبد فعل المعصية بالله على نحو ما مر اي ان
العبد يفعل الطاعة بامر الله ومشيته ورضاه ومحبته وتوفيقه ونعمته ويفعل المعصية

بقوة الله ونعمة الله وهو قضاؤه وحكمه لا له وقول الاشعري لا علة لفعله خطأ ظاهر فان الله سبحانه
العالم بفعله نص على العلة فقال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون افحسبتم انما خلقناكم
عبثا وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين وحيث انه لم يعرف العلة انكرها و
عليه بعد ما سمعها من ربه في كتابه وبلسان رسوله والله يقول بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه
ولما يأتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين واعلم ان اصحابنا
من اهل النظر اثبتوا العلة وسلموا ولم يدعوا معرفتها ورد ذلك الى الله والى
الرسول ص والى الحفظة وانا اشير الى العلة وذلك انما كشفنا للامر النسر الحجة وابين نا
في اللفظ المردد هو ان الله واحد لا شيء معه ازلا وابدا وسرمدا وليس ثم شيء غيره
فيكون معروفا بالتميز معلوما بالحدوث والتحيز تعالى ربي وهو الان كما كان فخلق
كل شيء من خلقه في زمنه ووجوده ومكانه حده وحده فلو لم تتفاوت مفعولاته لم يعلم الا
تتفاوت ذاته والازمان له ولا امكان فجعل بعضها علة لبعض وصفة بعض علة لذات
اخر وبالعكس ليعلم الا علة له وجعل بعضها محتاجا بعضها الى بعض ليعلم الا حاجة به
الى شيء ولا دور لاختلاف حيثياتها وتعاكس حركات افلاكها ولا تسلسل لاحاطته
بما لا يتناهى من الممكنات واحصى كل شيء عددا فهو وراء ما لا يتناهى بما لا يتناهى كل الله
عنه قال الله وجعلنا بعضكم لبعض فتنة ولولا دفع الله بعضهم ببعض لفسدت الارض
فجعل الدفع علة لنظام الارض واهلها وما فيها كما جعل التوحيد علة لنظام السموات
والارض قال تع لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا ففساد الارض بعدم الدفع و
فساد السموات والارض بعدم التوحيد ومجرى العلة واحد وان كان في كل بحسبه
وقال تع وما كان له عليهم من سلطان الا لنعلم من يؤمن بالاخرة ممن هو منها في شك
ليميز الخبيث من الطيب واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه
حقا ولكن اكثرهم لا يعلمون ليبين لهم الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا انهم كانوا
كاذبين فخلقهم لينقل بهم حوائجهم من بعض الى بعض فاصحاب اليمين وصفاتهم نهايات
كمالاتها وهي اليمين ومنها خلقوا واليها يعودون واصحاب الشمال وصفاتهم من
خلف الرحمة وهو الغضب لانهم هم وصفاتهم نهايات كمالاتها وهو الشمال ومنها خلقوا
واليها يعودون قال تع الا من رحم ربك ولذلك خلقهم قال الصادق ع لابي بصير و
للرحمة فتدبر بهذه الاية تكفيك وذرهم في خوضهم يلعبون وقال تع الخبيثات للخبيثين
والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات وقال تع ومن اياته ان خلق
لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها اذ يغشيكم النعاس امنة منه وينزل عليكم

من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجس الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به
الاقدام الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بامره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون
فانظر الى هذه العلل الظاهرة وبالجملة فالقرآن مشحون بان فعله الغاية والعجب كل العجب
من الاشعري يسمع الله يقول في كتابه فعلت كذا لكذا وهو يقول انما فعلت لا لكذا
ولكن هذه من احد الكبر من اقواله واعتقاداته وقول الاشعري لا يسئل عما يفعل
وهم يسئلون ليس فيه له حجة هو لا يسئل عما يفعل لا يحكم عليه ولانه لا يفعل الا بعلم
وحكمة قال تعالى تبارك الله احسن الخالقين وهم يسئلون لجهلهم ولانه الحاكم عليهم
وقوله لا مجال للعقل في تحسين الافعال وتقبيحها بالنسبة اليه ممنوع لانه لو لم يكن
للعقل مجال بطلت النبوات والحجت الدعاة وان تقع التكليف لانه تعالى يقول افلا
يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها افلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند
غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا فكيف يامرهم بالتدبر ويلومهم على عدم الفهم وقد
بين انهم يعرفون الاختلاف والائتلاف بين ما من عنده وما من عند غيره الا الا
ختلاف وهو تعالى ان كل شيء يحسن بالنسبة اليه من اختلاف وائتلاف ويعلم الاجمال
لعقولهم الا يعلم من خلق ولانه لو كان للعقل مجال بالنسبة اليهم لا بالنسبة اليه
لان تقع حكم قوله تعالى سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم افلا تبصرون وايضا
من اين الفرق فان كان منكم فقد جعلتم القرآن عضين اذ فيه فبشر عبادي الذين
يستمعون القول فيتبعون احسنه وفيه ضرب لكم مثلا من انفسكم الاية وان قلتم ۲ املائه
منه فهو تقول عليه لانه قبح ذلك منه كما قبح منهم حيث قال الله تعالى ان الله
لا يامر بالفحشاء ومن ذلك قوله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة
وجادلهم بالتي هي احسن وهذه امجال العقل في الاحوال الثلاثة التي تتوقف عليها
الدعوة الى سبيل الرب وقوله بل يحسن منه وتارة عنه مصادرة اذ لو كان يحسن
ضدين لما قبحها منه من عباده تعالى ربي وتوهم معتقد ذلك حيث يقول
الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم واعد
لهم جهنم وساءت مصيرا وقوله والاسباب التي ارتبط بها وجود الاشياء بحسب الظاهر
ليست اسبابا حقيقية ولا مدخل لها في وجودها تناقض لان قوله بحسب الظاهر تناقض
قوله ولا مدخل لها الا الارتباط في الظاهر لا مدخل في وجودها الا ان تكون تقع بدون
هذه الاسباب ولم تقع قط الا في معجز وهو اعظم الاسباب الذي اولى الالباب وهذا المدخل
في مقام الخلق وهذه الاسباب اسباب حقيقية في كل بحسبه ولهذا اسند الفعل اليه وهو

اعلم بما قال وبما خلق وقوله اجرى عادته الخ حق الا انه على سبيل الوجوب واللزوم فى رتبة
(الله قوم) الامكان الا تسمع انه تعه قال فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا وقوله
فكل من الاسباب والمسببات صادرة عنه ابتداء مدخول لانه يلزم منه ان اعتقاد المشر
كين والكفار بان الضم الهة وانه المعبود فى الارض وان تسميتهم له بذلك كلها مخلوقة
لله والاشعرى لاينكر ان كل مخلوق له معلوم له وهو يقول نعم ام تنبئونه بما لا يعلم
فى الارض والاشعرى يقول بل خلقه ويعلم ما هذا الا شئ تكاد السموات يتفطرن
منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا وقال فى هذا ان ادعوا للرحمن ولدا وما ينبغى
للرحمن ان يتخذ ولدا والاشعرى يقول اما دعوا للرحمن ولدا بفعله وخلقه ومشيته
ولا مؤثر فى الوجود الا الله فكيف يستعظم ما هو منه وعن امره ويكون نعوذ بالله وقد
تعه وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم ارديكم فاصبحتم من الخاسرين وقوله فى ذلك تعظيم
لله تعه الخ فيه ان تنزيه الله وقدسه وفعله عن قبائح افعالهم اشد تعظيما للقدرة
وهو على كل شئ قدير وقوله وتقديس لهما عن شوائب النقصان بالحاجة فى التاثير
الى امر آخر قد اجاب عن هذا المحقق الحكيم بما لا مزيد عليه بان قدرة الله فى غاية
الكمال وانما الحاجة راجعة الى المقدور فى قبوله للتاثير الى امر آخر يتوقف عليه لنقص
فى قابليته وتمام ذلك الى ذلك الآخر ولقد اطلت فى هذه الابحاث ولم اهذب العبارة
لئلا تخفى الاشارة فتو واحذ ما مذهب الحكيم كما مر فهو على نهج الحق فى المسئلة وان كا
على طريقة البحث ولم يستقص فيه على شقوق المسئلة وكلامنا ليس على طريقة البحث بل
بالكشف على نحو البيان ولهذه الابيات وجه الاستدلال من الدليل على غالبا فدع الالفاظ
وخذ المعانى تجد ما جواهر نفيسة بين يديك فى انحاء الافاق وتعجم بك على صافى المورد و
تسقيك شربة لا تظمأ بعدها ابدا وستذكرون ما اقول لكم وافوض امرى الى الله
ان الله بصير بالعباد وها انا مورد لك ما سنح من الاخبار تماما وعدنا لك به مما هو كافى
الفقير فى الاستبصار ففى الكافى فى صحيحة البزنطى عن ابى الحسن الرضا عم
قال الله ابن آدم بمشيتى كنت انت الذى تشاء لنفسك ما تشاء وبقوتى اديت
فرائضى وبنعمتى قويت على معصيتى جعلتك سميعا بصيرا قويا ما اصابك من حسنة
فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك وذلك انى اولى بحسناتك منك وانت
اولى بسيئاتك منى وذلك انى لا اسئل عما افعل وهم يسئلون وعن ابى بصير قال
كنت بين يدى ابى عبد الله عم جالسا وقد سئله سائل فقال جعلت فداك يا ابن
رسول الله صلعم من اين لحق الشقاء اهل المعصية حتى حكم لهم بالعذاب على عملهم فقال

ابو عبد الله ع انما اسائلكم الله عز وجل لا يقوم له احد من خلقه بحقه فلما حكم بذلك
وهب لاهل محبته القوة على معرفته ووضع عنهم ثقل العمل بحقيقة ما هم اهله ووهب لاهل
المعصية القوة على معصيتهم لسبق علمه فيهم ومنعهم اطاقة القبول منه فواقعوا ما
سبق في علمه ولم يقدروا ان ياتوا حالا ينجيهم من عذابه لان علمه اولى بحقيقة التصديق
وهو معنى شاء ما شاء وهو سره هـ وقال علي ع في مسيره الى الشام في الحديث المشهور
لشيخ سائله وتظن انه كان قضاء حتما وقدرا لازما انه لو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب
والامر والنهي والزجر من الله وسقط معنى الوعد والوعيد فلم تكن لائمة للمذنب تلك
مقالة اخوان عبدة الاوثان وخصماء الرحمن وحزب الشيطان وقدرية هذه الامة
ومجوسها ان الله تبارك وتعالى كلف تخييرا ونهى تحذيرا واعطى على القليل كثيرا ولم يعص
مغلوبا ولم يطع مكرها ولم يفوض مملكا ولم يخلق السموات والارض وما بينهما باطلا ولم
يبعث النبيين مبشرين ومنذرين عبثا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من
النار وفي رواية يونس قال قال لي ابو الحسن ع الى ان قال قال يونس ولكني اقول
لا يكون الا ما شاء الله واراد وقدر وقضى فقال ليس هكذا لا يكون الا ما شاء الله
واراد وقدر وقضى يا يونس تعلم المشية قلت لا قال هي الهندسة ووضع الحدود
من البقاء والفناء قال ثم قال والقضاء هو الابرام واقامة العين قال فاستاذنته
ان ياذن لي ان اقبل راسه وقلت فتحت لي شيئا كنت عنه في غفلة هـ وموثقة
ابراهيم بن عمر اليماني عن ابي عبد الله ع قال ان الله خلق الخلق فعلم ما هم صا
ئرون اليه وامرهم ونهاهم فما امرهم به من شيء فقد جعل لهم السبيل الى تركه ولا
يكونون اخذين ولا تاركين الا باذن الله هـ وعن ابي عبد الله ع قال قلت اجبر
الله العباد على المعاصي قال لا قلت ففوض اليهم الامر قال لا قلت فماذا قال لطف
من ربك بين ذلك هـ وعن ابي عبد الله ع لا جبر ولا تفويض ولكن امر بين امرين
قيل وما امر بين امرين قال مثل ذلك رجل رايته على معصية فنهيته فلم ينته فتركته
ففعل تلك المعصية فليس حيث لم يقبل منك فتركته كنت انت الذي امرته بالمعصية
هـ وعن صالح النيلي قال سالت ابا عبد الله ع هل للعباد من الاستطاعة شيء قال
فقال لي اذا فعلوا الفعل كانوا مستطيعين بالاستطاعة التي جعلها الله فيهم قال
قلت وما هي قال الالة مثل الزاني اذا زنا كان مستطيعا للزنا حين زنا ولو انه
ترك الزنا ولم يزن كان مستطيعا لتركه اذا ترك قال ثم قال ليس له من الا
ستطاعة قبل الفعل قليل ولا كثير ولكن مع الفعل والترك كان مستطيعا قلت

٢ ولا محمدة للمحسن ولكان المذنب
اولى بالاحسان من المحسن و
لكان المحسن اولى بالعقوبة من
صح

فعلى ما يعلمه بما قال بالحجة البالغة والالة التي كتب فيهم ان الله لم يجبر احداً على معصية ولا
اراد ارادة حتم الكفر من احد ولكن حين كفر كان في ارادة الله ان يكفر وهم في ارادة الله
وعلمه لا يصيروا الى شيء من الخير قلت اراد منهم ان يكفروا قال ليس هكذا اقول ولكني
اقول علم انهم سيكفرون فاراد الكفر لعلمه فيهم وليست ارادة حتم وانما هي ارادة اختيار
هو اقول وجميع ما اشرت اليه بالكتمان فقد اشير اليه في هذا الحديث الشريف بالبيان
عن اهل السر المكتوم عن الاغيار وفتح لا خفائه بمستتر الاسرار فعليه بتفهمه
على وجه فهم وفق فانه وذلك قول الرضا عم الذي مضى بعضه قال عم ان الله لم يطع
باكراه ولم يعص بغلبة ولم يهمل العباد في ملكه هو المالك لما ملكهم والقادر على ما اقدرهم
عليه فان ائتمر العباد بطاعته لم يكن عنها صاداً ولا منها مانعاً وان ائتمروا بمعصيته
فشاء ان يحول بينهم وبين ذلك فعل وان لم يحل وفعلوه فليس هو الذي ادخلهم
فيه ثم قال عم من يضبط حدود هذا الكلام فقد خصم من خالفه وامثال ذلك كثير
وبيان هذه الاضبار يعرف مما مضى والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله
الطاهرين قد فرغ من تسويد هذه الرسالة

محمد قلي ابن حسن الحسني

في شهر جمادى

الاولى

١٢٤

سنه